التنشئـة الإجتماعية بين الواقـع والتحـدي

الملخص

تعد التنشئة الإجتماعية من المواضيع الهامة التي تتعرض للأساليب المتبعة في إعداد الفرد الذي سيكون فيما بعد مؤديا لدور داخل المجتمع بحيث يتوقف هذا الأداء الي حد بعيد على الطريقة التي أعتمدت في تربيته مما يجعل منه، قادرا علي تحمل المسؤولية متمكنا من تحقيق ما هو منتظر منه مما يعود بالفائدة. و بالتالي يكون العائد من العملية عائدا إيجابيا و إن فشل الفرد في القيام لما هو متوقع منه يرجع ذلك بالسلب ليس علي الفرد فحسب بل على المجتمع ككل. لذا تندرج هذه الدراسة في هذا السياق الذي يشدد على أهمية الإعتناء بالفرد من خلال عملية التنشئة الإجتماعية .

أ.د.مصمودي زين الدين
المركز الجامعي ام البواقي، الجزائر

إن تأهيل الفرد للاندماج والتكيف مع وسط الاجتماعي يتطلب مشاركة وتفاعل عدة عناصر تعمل وبشكل تكاملي فيما بينها من أجل تهيئة الإطار اللائق لتنشئة اجتماعية مقبولة تحقق انسجام الجماعة ، وهذه العناصر تمثل الميكانزمات التي من خلالها يكتسب الفرد الطرائق و الأساليب و القواعد المعتمدة من طرف الجماعة التي ينتمي إليها و يتلقي الخبرات والمعلومات اللازمة التي توصله إلى مستوى مقبول من التوافق الشخصي الاجتماعي(1).

ويشير مصطلح التنشئة الاجتماعية في علم النفس الاجتماعي إلى العملية التي تعم عن طريقها الفرد كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه السلوك الاجتماعي الذي توافق عليه(2).

Résumé

Le présent article est une approche critique du concept de la socialisation qui revêt un intérêt particulier en sciences sociales du fait qu'elle s'intéresse aux institutions responsables de l'habilitation de l'individu afin d'acquérir les modèles culturels de la culture dans laquelle il vit et agit ; et c'est de ce processus que dépend son intégration au sein du groupe et plus largement de la société toute entière.

وكلمة **"تنشئة"** تعني(أقام) وهذا الإنشاء له صفة إجتماعية، أي فيما بين الأفراد. وبهذا يتميز المصطلح العربي عن المصطلح الإنجليزي والفرنسي الذي يعني لديها حرفيا عملية جعل الفرد مجتمعيا. وقد ظهرت كلمة **" تنشئة اجتماعية**

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2007.

Socialisation " لأول مرة في الأدب الإنجليزي سنة 1828، وكان المقصود بها تهيئة الفرد ليتكيف مع المجتمع (3).

يعد دوركايم DURKHEIM أول من استخدام مفهوم التنشئة الاجتماعية بمعناه التربوي (4) وأول من عمل على صوغ الملامح العلمية لنظرية التنشئة الاجتماعية، يقول دوركايم بصدد تعريفه لغاية التربية أن الإنسان الذي تريد التربية أن تحققه فينا ليس هو الإنسان على غرار ما أودعته الطبيعة، بل الإنسان على غرار ما يريده المجتمع (5)، فالتربية هي التأثير الذي تمارسه الأجيال الراشدة في الأجيال التي لم ترشد بعد، وتكمن وظيفتها في إزاحة الجانب البيولوجي من نفسيه الطفل لصالح نماذج من السلوك الاجتماعي المنظم (6). فالتنشئة هي العملية التي يتم فيها ومن خلالها دمج ثقافة المجتمع في الفرد ودمج الفرد في ثقافة المجتمع، وهي وفقا لهذا المعنى العملية التي تربط بين الفرد وبين ثقافة المجتمع، وهي من جهة إزاحة الجانب البيولوجي في الإنسان لصالح الجانب الاجتماعي. أو الانتقال بالإنسان من حالته البيولوجية إلى حالته الاجتماعية(7). ويعرف غي روشيه GUY ROCHER التنشئة الاجتماعية بأنها منظومة الأولويات التي تمكن الفرد على مدى حياته، من تعلم واستبطان القيم الاجتماعية الثقافية السائدة في وسطه الاجتماعي (8).

ويمكن تعريف التنشئة الاجتماعية بأنها عمليه تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد طفلا، فمراهقا فراشدا، فشيخا سلوك ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته وتحقيق التوافق الاجتماعي معا وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الإجتماعية، وهي عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد، وعملية إدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية (9).

والتنشئة الاجتماعية هي تشكيل أفراد إنسانيين ليندمجوا في الإطار العام للجماعة التي ولدوا فيها ويصبحوا أفرادا متكيفين مع هذه الجماعة وأنماطها وقيمها، فالتغيرات التي تحدث للطفل منذ أن يولد حتى يتخذ له مكانا مميزا بين الكبار الناضجين ، هي في أساسها عملية تنشئة اجتماعية أو تطبيع إجتماعي، والطفل عندما يمر بعملية التطبيع الاجتماعي يؤثر بعد ذلك في تطبيع الآخرين وتتمشى مع عملية التطبيع الاجتماعي عملية أخرى مهمة للمجتمع وهو أن الفرد يصبح حاملا للثقافة أي لطابع معين من الحضارة (10).

وعلى العموم فالتنشئة الاجتماعية مصطلح لمفهوم يشمل عمليات متعددة أهمها التعليم الاجتماعي وتكوين الأنا والتوافق الاجتماعي، والتثقف أو الانتقال الثقافي من جيل لآخر، فهي بهذا المعنى مفهوم خصب، وبالرغم من كثرة مكوناته فإن لهذا المفهوم تكامله ووحدته المتميزة. ومن أهم العلوم التي أسهمت في نشأة هذا المفهوم، يمكن ذكر علم النفس، التربية، الاجتماع، الأنتريولوجيا...الخ والغريب أنها جميعا بدأت تهتم في وقت واحد تقريبا بالتنشئة الاجتماعية (11).

إن عملية التنشئة الاجتماعية من بين ما يقصد بها، عملية تزويد الفرد بأدوات معرفية ومهارية وتصورية وقيمية بما يمكنه من الاندماج والتكيف مع الفضاء النفسي والفيزيقي والاجتماعي الذي يتحرك فيه بشيء من اليسر والسهولة مع أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه كمرحلة مبدئية ولتحقيق التعايش مع الإنسانية جمعاء بحكم العوامل المشتركة الكثيرة الموجودة بين البشر في مرحلة لاحقة. وإخفاق الفرد في إدراك هذه الغاية قد يرجع الي حد بعيد لإخفاق المؤسسات المسؤولة علي هذه العملية في تأدية مهمتها كما يجب أن تقام .

ويعرف معجم العلوم الاجتماعية التنشئة الاجتماعية في النقاط التالية:

1. التنشئة الاجتماعية إعداد الفرد منذ ولادته لأن يكون كائنا اجتماعيا وعضوا في مجتمع معين، والأسرة هي أول بيئة تتولى هذا الإعداد، فهي تستقبل المولود وتحيط به وتروضه على آداب السلوك الاجتماعي. وتعلمه لغة قومه، وتراثهم الثقافي والحضارة، من عادات وتقاليد وسنن اجتماعية، وتاريخ قومي، وتأخذه بأسباب الحزم للقضاء على ما يبدو من مقاومة لهذه المواصفات والقيم، فترسخ قدسيتها في نفسه، وينشأ عضوا صالحا من أعضاء الجماعة والمجتمع. وللأسرة في هذه العملية شأنا لا تعادلها فيه بيئة أخرى.

2. وبجانب الأسرة توجد هيئات اجتماعية أخرى تشترك في هذه التنشئة وتعميق مضامينها في نفسية الفرد، مثل حلقات اللعب والمدرسة والنوادي والجمعيات الثقافية والمجتمع العام بما يضيفه من تجارب وما يضيفه أمام الفرد من مواقف . فالتنشئة الاجتماعية عملية دينامية مستمرة تبدأ منذ ولادة الفرد وتستمر حتى وفاته. وفي كل مرحلة يتعلم الفرد ويكتسب ما لم يكن قد عرفه أو إدراك مراميه على نحو أفضل. ويضيف المجتمع باطراد إلى رأس مال الفرد الثقافي مكاسب جديدة وتجارب مستمرة.

3. ولما كانت الأسرة أولى هيئة تتولى التنشئة الاجتماعية، فإن نجاحها يرجع إليها بقدر كبير، وتختلف الأسرة في مبلغ أدائها لهذه المهمة، فمنها ما تنجح فيها نجاحا تاما ومنها ما يعز عليها أداؤها، ويرجع كثيرا من حالات الانحراف المبكرة إلى فشل الأسرة أو عدم توفيقها في أداء وظيفتها التربوية الأساسية. والتثقيف الاجتماعي صورة من صور التنشئة الاجتماعية (12) .

إن عملية التنشئة الاجتماعية تتم وفقا لقنوات عديدة ومختلفة منها التفاعل الذي يمثل العنصر أو الموجه الرئيسي لسلوك الفرد، فهذه العملية هي بيولوجية دماغية في المقام الأول ومن ثم فإنها عملية نفسيه اجتماعية يمكنها أن تكون إيجابية فتدفع بالفرد نحو **التمثل IDENTIFICATION** أو تكون سلبية فتدفع بالفرد نحو النفور، ويقسم محمد أحمد النابلسي أشكال التفاعل إلى:

- **الصراع**
- **المنافسة**
- **المواءمة**
- **الاندماج**

- المشاركة (13).

ووفقا لهذه الأشكال المختلفة للتفاعل يكتسب الفرد أنماطا سلوكية متعددة حسب الطريقة التي تم بها هذا التفاعل ، فإن تم هذه الأخير وفقا لطرائق سوية طبيعية استطاع الفرد أن يحقق إشباعاته بما لا يؤثر على الآخرين وإذا تم بطرائق غير سوية ينتج عنه سلوكات مغايرة لمعايير الجماعة ومتعارضة معها في كثير من الأحيان، الشيء الذي قد يؤدي الي التصادم والصراع. نظرا للتعارض المكثف لرغباته والفضاء الاجتماعي والنفسي الذي يعيش فيه.

نظريات التنشئة الاجتماعية:

سنكتفي بذكر بعض النظريات التي كان لها دورا رياديا وشاملا في تفسير مفهوم التنشئة الاجتماعية وسيتم ذلك بشكل مقتضب لأن عرض هذه النظريات قد يتطلب التحليل العميق. ومن بين هذه النظريات يمكن ذكر ما يلي:

1- نظرية التحليل النفسي:

تعتبر نظرية التحليل النفسي من بين النظريات الرائدة والتي لها إسهامات جادة وثرية في تفسير سلوك الكائن البشري من نواحي عديدة، طبعا هناك قراءات عديدة لهذه النظرية، وفي هذا السياق "ينظر فرويد إلى ارتقاء الشخصية بأنها عملية دينامية تنطوي على صراعات بين الرغبات الغريزية للفرد ومطالب المجتمع، ويعتبر أن الإنسان منذ الولادة يتكون من مجموعة من العوامل الفطرية البيولوجية الموروثة، ومن غريزتي الحب أو الجنس التي تحقق اللذة للكائن ومن غريزة العدوان أو التدمير، والطاقة التي تدفع غريزة الجنس لتحقيق اللذة سماها طاقة الليبيدو، وتربط غريزة الجنس للكائن بالإشباع النفسي منذ الولادة (14). وقد قسم الشخصية إلى أشكال مختلفة منها التقسيم إلى ثلاثة مراحل وهو الأكثر تداولا فمثلا يري أن المرحلة الأولى والتي تدوم من الولادة إلى السنة الثانية والثالثة يعتبر فيها الفم مصدر اللذة وهو مصدر اتصال الطفل بالعالم الخارجي، واللذة الفمية في هذه المرحلة هي حاجة غريزية ليبيدية LIBIDINALE ويظهر عند نهاية هذه المرحلة شكل من أشكال العدوان المتمثل في عض ثدي الأم نظرا لظهور الأسنان، ويزداد هذا العدوان عند صدمة الفطام ، وفي هذه المرحلة يبدأ الشعور بالتمايز والانفصال عن الأشياء التي كان يشعر بأنها مرتبطة به وتعتبر امتدادا لذاته، وهذا الشعور بالانفصال يمثل مدخلا لبداية إحساس الطفل بنمو أناه EGO . والمرحلة الثانية تسمي المرحلة الشرجية Stade Anal تبدأ هذه المرحلة بصدمة تنظيم عملية الإخراج، أي عملية التبول والتبرز، وهذه الصدمة الثانية للطفل بعد صدمة الفطام. وصدمة الإخراج سببها أن هناك شعورا باللذة في أغشية المنطقة الأستية يشعر بها الطفل أثناء عملية الإخراج، وقيود تحاول الأسرة أن يمتثل لها فينشأ لديه عندئذ صراع بين الامتثال للقيود وبين الشعور باللذة... وأثناء عملية التدريب على هذا الضبط يتعرض الطفل لأول موقف اجتماعي يتضمن الثواب والعقاب ومواجهة المعايير الاجتماعية وهنا يحاول الطفل الخضوع لمبدأ الواقع ، عندئذ تبدأ الأنا العليا SUPER EGO في التكوين (15). أما المرحلة الثالثة فهي المرحلة القضيبية STADE

PHALLIQUE ويكون مصدر اللذة يتمثل في لمس الطفل لأعضائه التناسلية وبالتالي يبدأ يشعر باختلافه في هذه الناحية عن أخته مثلا، وتمتد هذه المرحلة من السنة الثالثة إلى السادسة من العمر تقريبا، وفيها يحدث تحويل الرغبات الجنسية إلى أحد الأبوين حسب زعم فرويد وبعض أتباعه ، فالأطفال الذكور يوجهون رغباتهم الجنسية (لاشعوريا) نحو الأم والإناث نحو الأباء. وفي هذه المرحلة يحدث ما يسميه فرويد بالصراع الأوديبي أو ما يعرف بعقدة أوديب حيث تنطوي العقدة على العداء اللاشعوري نحو الأب والأم (من نفس الجنس) وتعلق لاشعوري بالجنس الآخر(الولد بالأم ويسمى ذلك بعقدة أوديب والبنت بالأب ويسمى ذلك بعقدة ألكترا (16).

وحسب هذه النظرية هذه المعايشات التي يعرفها الفرد علي مرور الزمن يكون لها انعكاسات على السلوك والكيفية التي ينظر بها إلى ذاته وإلى محيطه الخارجي، وبالتالي تأتي عملية الاعتناء بتربية هذه المراحل العمرية المختلفة في مقدمة التعامل السوي مع الفرد والتي يجب أن تحظى بالأهمية البالغة، حتى يمكن تجنب الكثير من السلوكات التي يمكن أن تؤثر علي انسجام الفرد مع بيئته ومجمل مفردات مجتمعه في تفاعلاته المستقبلية فيما بعد.

2- نظرية الإرتقاء المعرفي (17):

ترتبط هذه النظرية بأبحاث "بياجية PIAGET" وقد أدت به بحوثه إلى الاعتقاد بأن عمليات التفكير عند الطفل تمر في ارتقائها بتغييرات نوعية يمكن التنبؤ بها، فالطفل الأكبر سنا ليس فقط أقدر على حل المشكلة من الطفل الأصغر سنا، ولكنه يحصل على المعلومات وينظمها ويعالجها بصورة مختلفة، وعندما يتحقق مستوى أعلى من الاستبدال فإنه لن يفقد المهارة الأدنى منها، وهكذا فإن الارتقاء يتقدم إلى الأمام ويتوقف تأثير خبرات التنشئة على الطريقة التي يدرك الطفل بها هذه الخبرة المعيشة ويفسرها، لأن نفس الخبرة يمكن إدراكها بطرق مختلفة من جانب الأطفال في المستويات المعرفية المختلفة.

وقد ذكر بياجيه أن هناك تغييرا كبيرا يحدث في الاستدلال الخلقي في مرحلة الطفولة المتوسطة من (7-9 سنوات)، فالطفل الصغير يعمل في اعتقاده طبقا لأخلاقيات الالتزام أو الحدود الخلقية، والقواعد بالنسبة للطفل تصدر عن نماذج سلطة خارجة عن ذاته، فهي حقائق غير قابلة للتغير في تصوره، كانت وسوف تظل دائما نفس الشيء، ويقوم انصياع الطفل ومسايرته لهذه القواعد على أساس احترام من جانب واحد لنماذج السلطة التي ترتبط بهذه القواعد، وبهذا يساوي الطفل في هذه المرحلة بين الفعل السيئ والعقوبة، فالفعل السيئ هو ما يعاقب عليه الفرد، ويحكم على مدى انحراف الفعل بمقدار ما يحدثه من ضرر ويوجه اهتماما أقل إلى مقاصد صاحب العمل . أما الطفل الأكبر سنا فإن يرى أنه يعمل طبقا لأخلاقيات التعارف فيستخدم نوعا من الاستدلال يتمركز حول المجتمع ويكون أكثر استقلالية ونظرته إلى القاعدة تكون على أساس أنها عقد اجتماعي متفق عليه من قبل أعضاء الأسرة أو الجماعة أو المجتمع ككل، وبهذه النظرة يبدأ الطفل يفهم أن القواعد يمكن صياغتها وتغييرها عن طريق المشاركة

والمناقشة، ويدرك في الأخير أن الخضوع للقواعد ضرورة تمليها الحاجة إلى صياغة نظام اجتماعي متزن ومتناسق. هكذا تنظر هذه النظرية إلى عملية التنشئة الاجتماعية بحيث تركز على النمو ببعديه المعرفي العقلي والنمو الأخلاقي وبالتالي تفسر عملية النمو من خلال ما يتم اكتسابه من المحيط و مجمل التسهيلات المتوفرة للطفل لتحقيق أقصى ما يمكن له أن يحققه من نمو معرفي وأخلاقي .

3- نظريـــة التعليـم الاجتماعي:

من أقطاب هذه النظرية الباحث ألبرت بندورا ALBERT BANDURA الذي قدم إسهامات ذات قيمة علمية كبيرة في مجال التعلم حيث ركز على مفهوم الملاحظة في اكتساب السلوك الجديد، وإن ما نتعلمه هو تمثيلات رمزية لأفعال النموذج المحبذ على المستوى العقلي. ففي تفاعلاتنا اليومية مع مختلف معطيات البيئة الخارجية هناك بعض الاستجابات تكون ذات وقع نفسي مريح وممتع بينما أخرى ليس لديها أي تأثير، وبفضل التعزيـز يتم قبول الأشكال الفعالة للسلـوك والأشكال غير الفعالة تلغى (18).

على العموم هذه النظرية تعطي حرية للفرد في تحديد ما يريد اكتسابه من سلوكات من محيطه الخارجي، إلا أن ما يجب تسجيله هو أن الحرية ليست مطلقة في عملية الاكتساب هذه بل عوامل كثيرة تتدخل في ذلك، وبالتالي ليست حكرا على الفرد فقط بل المحيط الخارجي قد يسهل ذلك أو يعوقه، والحكم هذا يتوقف على الشكل الذي ندرك به نحن هذا المحيط الخارجي، وعملية الإدراك عملية عقلية نفسية معقدة تكون نتيجة جملة من العوامل. المهم أن هذه النظرية ترى أن السلوك هو نتاج التفاعل الذي يتم بين الشخصية ككل والمحيط الخارجي معتمدا بشكل أساسي على عملية الملاحظة.

مؤسسات التنشئـــة الاجتمـاعـيـة:

يمكن تقسيم عناصر التنشئة الاجتماعية إلى العناصر الذاتية المرتبطة بالفرد كالغدد التي تعتبر أعضاء متخصصة صغيرة الحجم تتركب من أنسجة نوعية متباينة تساعد على إفراز مواد أساسية هامة وضرورية لجسم الكائن الحي، وتسمى هذه المواد بالهرمونات HORMONES وهي عبارة عن مركبات كيميائية لها دور فعال في تنظيم العمليات الحيوية المختلفة، إضافة إلى تأثيرها الواضح في العمليات الانفعالية والدافعية والسلوك بشكل عام (19).

كذلك يأتي النضج من بين هذه العناصر وهو أمر تقره الوراثة ويتضمن عمليات النمو الطبيعي التلقائي، فهذا العنصر سابق أي عملية تعلم فمن دونه لا يمكن اكتساب الكثير من السلوكات بحيث لا يمكن حدوثها إلا عند توفر النضج الضروري لذلك، ومن بين العناصر الذاتية يمكن ذكر الجهاز العصبي ودرجة التفاعلات الكيميائية التي تحدث من جراء نقل السيالة العصبية وتأثيرها على المنطقة المخصصة للاستجابة والمدة الزمنية التي تستغرقها والطريقة التي تظهر بها. وكذلك يمكن ذكر السن والجنس... الخ .

وهناك العناصر الخارجية التي تسمي بالمؤسسات التي تؤثر في عملية التنشئة والتي يمكن ذكرها كما يلي :

- الأســـرة
- المـدرســة
- الـجـماعـة
- الـمـسـجد
-وسائل الإعلام.

الأسـرة :

عندما يستقبل الطفل الحياة في لحظته الأولى، يكون على درجة كبيرة من العجز عن التكيف مع البيئة المحيطة به عجزا لا نظير له حتى لدي تلك المستويات الحيوانية العالية ومن مظاهر تفوق عجز الإنسان في حال ولادته، أن الوليد الشمبانزي يستطيع التعلق ببطن أمه منذ اليوم الأول ودون أن تساعده أمه على ذلك، بل يعتمد على قدرته على القبض بيديه وقدميه، على الشعر المنتشر على الأم، في حين أن الطفل البشري لا تظهر لديه بوادر القدرة على القبض باليد، بل إن هذا العجز يمتد إلى عملية الامتصاص التي يشاع عنها أن نشاطها منظم فطريا (20).

إن هذا العجز الطبيعي يتحول بفضل الرعاية الأسرية المستمرة إلى قوة . ولذا تكتسي الأسرة أهمية بالغة يقع عليها العبء الأكبر في التنشئة الاجتماعية حيث يقضي الطفل فيها سنواته الأولى، وفيها يتعلم اللغة والدين والعادات والتقاليد، ويتم ربطه بالبيئة المحلية وغرس القيم الأخلاقية وكيفية التعامل مع الغير، ورعايته صحيا وبدنيا (21) .

والأسرة هي البوتقة الأولى التي تتشكل فيها شخصية الفرد. وقد أجمعت تجارب العلماء وتأملاتهم و مختلف أبحاثهم على أهمية الأسرة في رسم خصائص الشخصية ولاسيما في السنوات الأولى من الولادة. وأجمعت هذه التجارب أيضا على أن الأسرة هي أمضى سلاح يعتمده المجتمع في عملية التنشئة الاجتماعية ، وفي بناء شخصية الإنسان القادر على إصدار الفعل والمبادرة والإبداع . هذا ويتوقف أثر الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية على جملة من العوامل الكامنة في تركيبتها وعلى أجوائها العاطفية ومستواها الاقتصادي والاجتماعي، وتعود أهمية الأسرة في بناء شخصية الطفل إلى العوامل التالية:

- أهمية السنوات الأولى من حياة الفرد كما يؤكد العلماء والباحثون .

- النمو الكبير للطفل خلال سنوات حياته الأولى، حيث تشير الدراسات الجارية إلى أن وزن دماغ الطفل يصل إلى 90% في الخامسة من العمر وإلى 95% في العاشرة من العمر (22).

- قدرات الطفل على التعلم في هذه المرحلة حيث يقدر بنجمين بلوم Benjamin Bloom أن الطفل يكتسب 33% من معارفه في السادسة من العمر وترفع هذه النسبة إلى 75% في الثالثة عشرة من العمر وإلى 100% في الثامنة عشر من العمر، وذلك كما سيوضح في الجدول التالي (23):

جدول رقم (1) يوضح عملية النمو

الأعمار	النمو في كل مرحلة عمريه	التراكم في كل مرحلة
من الولادة حتى 6 سنوات	%33	%33
من 6 سنوات إلى 13 سنة	%42	%75
من 13 سنة إلى 18 سنة	%25	%100

ويؤكد علي وطفه أن 89% من حجم الدماغ الطبيعي ينمو خلال السنوات الخمس الأولى، هذا وتؤكد كل من ميلاني كلاين وأنا فرويد، وآلفراد أدلر، وإريكسون، وإريك فروم ولاكان على الأهمية المطلقة لحياة الطفولة المبكرة في نمو الشخصية (24).

ولابد لنا هنا من الإشارة إلى أهمية ما يسمى بالمراحل الحرجة للتطور مثل مرحلة المرآة عند **لاكان**، المرحلة الأوديبية عند فرويد ومرحلة الرضاعة عند ميلاني كلاين، ومرحلة تشكيل الهوية عند إريكسون، ومرحلة إرضاء الحاجات عند **ماسلو**، ويعيش الأطفال هذه المراحل الحرجة قبل بلوغهم السادسة من العمر (25). وعلى العموم تحتل الأسرة أهمية قصوى بالنسبة للطفل لجملة من الأسباب منها:

- تعتبر الأسرة أول بيئة تربوية يتواجد فيها الطفل ويتفاعل معها وهذه الأولوية تجعل تأثير الأسرة في الطفل حيويا وعميقا، فهي البيئة التي توفر الحماية والأمن وإشباع الحاجات الأساسية للطفل.

- الأسرة هي اللبنة الأولى التي يقوم عليها المجتمع والتي يستمد منها كل أفراده مشاعر الحب والانتماء والأمان والدافع للعمل والرغبة في العطاء كما أنها أساس الربط بين جيل و جيل فعن طريقها ينقل المجتمع ثقافته إلى الأبناء .

- الأسرة هي البيئة التي تتناول الطفل بالتشكيل والتعديل وإكسابه العديد من أنماط السلوك والمهارات بحيث يمكن القول أن الملامح الأساسية للطفل تتحدد بدرجة كبيرة من خلال الأسرة في الفترة العمرية المبكرة للطفل .

- الأسرة هي النموذج الأمثل لما يسمى بـ"الجماعة الأولية" والتي تتميز العلاقات فيها والتفاعلات الاجتماعية بالمواجهة بين أعضائها كما تتميز بالترابط والتعاون على أساس من الود والحب والاستمرار في العطاء وتسودها الوحدة التي تتمثل في الإحساس ب"نحن".

- في الأسرة يقوم الطفل بذاته ، بمعنى أن قيمته لا ترجع إلى ما يؤديه من عمل أو خدمات للجماعة أو لمدى كفاءته وقدرته لقيامه بالأدوار المتوقعة منه، وإنما مصدر هذه القيمة يرجع إلى أساس انه عضو في هذه الجماعة الأولية .

- الأسرة يميزها التلقائية التي يجدها أعضاء الجماعة الأولية في التعامل مع بعضهم البعض خاصة بالنسبة للأطفال .

- الأسرة تنمي في الطفل بعض القيم والخبرات التي تتكون عادة داخل الأسرة دون غيرها من وسائط التربية الأخرى مثل : الاستقامة، الكرم، التدين، فالطفل يكتسب مثل هذه القيم داخل الأسرة التي تتيح قدرا من المعرفة للطفل وتحيطه بجو من العواطف التي تتناسب مع عمره، مما يسهل اكتسابه لكثير من الخبرات والمهارات والمعارف .

ومن ثم فالأسرة ذات تأثير حيوي على حياة الطفل، وهذا التأثير حاسم في تربيته ككل . لذا فمن الأهمية إعداد الأسرة لكي تكون بيئة تربوية سليمة تشبع وتنمي قدرات واستعدادات الطفل بصورة مناسبة (26). وعلى الرغم من الأهمية المتزايدة للأسرة في حياة الطفل فقد تعرضت في الآونة الأخيرة إلى جملة من التحولات والتغيرات والهزات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية نتيجة جملة من الأسباب والظروف وقد ترتب عن ذلك تأثير كبير لدورها خاصة فيما يتعلق بوظيفتها الأساسية وهي التنشئة الاجتماعية للطفل، حيث تقلص هذا الدور إلى حد بعيد ومن أبرز هذه الظروف يمكن ذكر ما يلي: (27)

أ- تعاني الأسرة علي العموم من التخلف الثقافي حيث ينتشر الجهل والأمية بصفة خاصة لدى النساء كما ينتشر الزواج المبكر لدى الفتيات خاصة في الريف وسرعان ما تصبح أما لعدد كبير من الأطفال، وينعكس ذلك على صحتها وصحة أبنائها مما يؤدي إلى انتشار الأمراض.

ب- تعاني الأسرة سواء في الريف أو في المدينة ، خاصة بعد الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها البلاد من عدم توفر الإمكانيات المادية بما يحقق لها مستوى معيشي لائق، وبالتالي يحقق لأطفالها نوعا من الاستقرار العاطفي والشعور بالحب والتقبل .

ج- تسيطر أنماط التفاعل الاجتماعي التقليدي بين أفراد الأسرة، حيث يندر تبادل الحوار بين الأباء والأبناء ، كما أن مشكلات الأبناء لا تحضي باهتمام الأباء ولا يزال العقاب البدني أو التهديد هو الوسيلة الأكثر انتشارا. فالإنسان الذي يفتقر إلى الحب وخاصة حب والديه ، والذي واجه في ماضيه قسوتهم، يصعب عليه أن يفيض بالرحمة والحب تجاه الآخرين وكيف يفعل ذلك وأقرب الناس إليه لم يرحم إنسانيته وطفولته؟

تبين الدراسات الجارية في ميدان التربية وعلم النفس أن تربية التسلط داخل الأسرة و في المؤسسات الأخرى تؤدي إلى نتائج نفسية بالغة الخطورة وتفيد المقارنات الجارية بين النتائج التي يفرزها أسلوب التنشئة التسلطية و الديمقراطية إلى وجود فروق نوعية في الآثار التي سيتم ذكرها في الجدول التالي :

جدول رقم (2) يوضح آثار التنشئة الاجتماعية على الأطفال (28).

آثار التنشئة الديمقراطية		أثارالتنشئة التسلطية
الاستقلال	1	التبعية
النزعة الاجتماعية	2	الأنانية (مركزية الذات)
المواظبة والإنجاز	3	كسل وإحباط
التوازن الذاتي (ضبط الذات)	4	الاضطرابات الانفعالية
الإبداع	5	التوافقية
المودة	6	العدوانية
الإحساس بالأمن	7	القلق
الفرح والسعادة	8	الحزن والاكتئاب

تبين هذه النتائج أن تربية الإكراه والتسلط تؤدي إلى عملية هدم في الشخصية وإلى أزمة متواصلة ومستمرة تفقد فيها الشخصية مشاعر الإحساس بالأمن والانتماء والثقة ومختلف أسس البناء. إن مثل هذه الأنماط التربوية وللأسف المستفحلة في المجتمع ، يجب أن تزول و بأسرع ما يمكن و إلا كانت الكارثة الكبرى التي ستحل في المجتمع والتي ستقضي علي أسس نهضته وتطوره. وتبين بعض الدراسات الأخرى الجارية في ميدان التنشئة الاجتماعية أن الأساليب التسلطية التقليدية في التربية تؤدي إلى هدم البنية النفسية والاجتماعية والعقلية للشخصية عند الأطفال وعلى خلاف ذلك، تبين هذه الدراسات أن الأطفال الذين يعيشون في أوساط أسرية تعتمد التنشئة الاجتماعية الديمقراطية يتميزون بالسمات التالية (29):

- أكثر ذكاء و قدرة على التحصيل .
- أكثر قدرة على التكيف الاجتماعي.
- أكثر قدرة على الإنجاز.
- أكثر قدرة على الانهماك في نشاط عقلي حتى تحت الظروف المعرفية الصعبة.
- أكثر اعتمادا على النفس .
- أكثر اتصافا بالود و أقل عدوانية .
- أكثر تلقائية و أصالة و ابتكارا.

وعلى خلاف ذلك فان الأطفال الذين يعانون من عقد النقص والقصور والدونية هم هؤلاء الأطفال الذين خضعوا لتنشئة اجتماعية تقليدية متصلبة في مراحل طفولتهم الصغرى ، ويعيش الطفل في عالم من العنف المفروض داخل الآسرة والذي يجسد إلى حد بعيد اغتباط السلطة الأبوية (30). وهو في هذا السياق يعيش بين أكراهات الحب الآمومي وبين أكراهات القسر الأبوي وهذا يعني أن الطفل يعيش بين إكراهين بين حب الأم الذي يسحق شخصيته وبين تسلط الأب الذي يمحق وجوده .

إضافة إلى ما سبق توجد بعض الممارسات الأسرية الشائعة التي لا توفر المناخ لتنشئة الطفل تنشئة سليمة، وتمثل معوقات أمام تنمية الإبداع لديه والتي يمكن إجمالها فيما يلي (31):

- سيادة أسلوب التسلط في معاملة الأبناء، وفيه يتوجب على الأبناء أن يطيعوا الآباء طاعة مطلقة، ويتم التواصل بين الكبار والصغار عموديا وليس أفقيا أي من أعلى إلى الأسفل، ويتخذ شكل إعطاء الأوامر والتهديد والتخويف والاستهزاء والإذلال والشعور بالذنب والقلق، وقد يقترن هذا الأسلوب ببعض أنماط السلوك التعسفي مثل الصفع، أما التواصل من أسفل إلى أعلى فيتخذ طابع الترجي والانسحاب والتكتم والحذر والإحساس بالذنب والخوف والقلق، وتكون العلاقة بين الأبناء والآباء قائمة على سياسة الترهيب والترغيب وليس على سياسة الإقناع والحوار المفتوح والمتبادل بين الطرفين.

- إتباع أسلوب الانقياد والطاعة المطلقة للآباء الشيء الذي يمكنهم من تشكيل أبنائهم من خلال الإذعان لهم دون مساءلة أو تشكك بما يجعلهم غير قادرين على توظيف

قدراتهم العقلية كالتفكير النقدي مثلا، حيث تكون سلطة الآباء هي المرجع والبرهان للوصول إلى الحلول بدل التفاعل المباشر مع معطيات البيئة الخارجية.

- التذبذب في معالمة الطفل، حيث لا يوجد اتساق في المعاملة بين الأبوين فالأم في كثير من الأحيان تسحق شخصية الطفل بالحماية المفرطة، أما الأب فيتم ذلك عن طريق القسوة، فهذه الممارسة التربوية تجعل الطفل يشعر بالعجز والإتكالية والهروب من المسؤولية وفي بعض الأحيان إلى العدوانية نتيجة الإحباط.

- المفاضلة بين الأبناء حسب الجنس والعمر، وأحيانا حسب الجمال والذكاء وطاعة الأهل، فهناك بعض الأسر تعطي الإبن الأكبر تفضيلا خاصا وحقوقا وامتيازات دون سائر أخوته، وأسر أخرى تفضل الإبن الذكر على الأنثى نظرا لقناعات لا تسند لأي منطق وهذا ما يشاع عندنا .

- عدم احترام فردية الطفل واستقلاليته في الأمور التي تتعلق به مثل إختيارالأصدقاء وأنواع الصعاب وغيرها...الخ.

إن الحديث عن الأسرة ودورها في التنشئة الاجتماعية حديث لا يمكن حصره في جملة من الوظائف المحددة نظرا لما تحتويه الأسرة من تأثيرات مختلفة مباشرة وغير مباشرة، آنية ومؤجلة على مجموع أفرادها.فالأسرة فضاء دينامي حيوي يخضع إلى جملة من العوامل الداخلية والخارجية، فالاقتصار على الدور الميكانيكي الوراثي أعتقد أنه لا يقدم الكثير لأن المجال الذي تتحرك فيه الأسرة والتأثيرات التي تنتج عنها معقدة ومتعددة، وعلى فرض التسليم بتحسين دور الأسرة في عملية التنشئة ألا يتأثر هذا الدور بالفضاءات الأخرى التي يتحرك فيها الفرد، وهل يمكن لنا في هذا المجال النجاح في التحديد الدقيق لدور هذا دون ذاك ؟ ودرجة تأثير هذا ودرجة تأثير الفضاء الآخر؟

إن النظرة المنطقية تتطلب تظافر وتعاون كل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية التي يتحرك فيها الفرد مهما كان شكله وسنه ومستواه في توفير المناخ الذي بإمكانه تحقيق أدوات وعوامل النمو السليم بما يحقق للفرد التوازن النفسي الطبيعي والانسجام مع بقية عناصر المجتمع.

وعلى العموم تستطيع الأسرة السوية أن تقوم بوظائفها على أكمل وجه، بحيث يؤدي كل عضو فيها دوره بالشكل المناسب، خاصة إذا توفرت لها مقومات أساسية تسمح للأباء بالقيام بمهامهم في ظروف مساعدة ولعل أبرز هذه المقومات، التماسك والانسجام واستقامة الوالدين والتزامهما بأصول المعاملة التربوية السليمة.

- المدرسة:

تعتبر المؤسسة الرئيسية في إكساب الفرد مختلف المضامين المعرفية العلمية والأكاديمية والمهارية المختلفة التي تجعل منه قادرا علي مسايرة جملة التحولات التي يمر بها المجتمع على المستوى المعرفي بمختلف إشكاله، فالمدرسة تنوب عن المجتمع في تحقيق هذه الغاية بحيث يتحول الفرد وبالتالي المجتمع إلى قوة مؤثرة وصانعة للأحداث سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، غير أن قدرتها في تحقيق القفزات النوعية المنتظرة تتوقف على جملة من الشروط والعوامل منها المدرس، المضامين أو

المناهج، الإدارة التربوية، الإشراف والنوعية التي هو عليها والفعالية الدالة على التحضر التي بمقدورهم بلوغها.

فالمدرسة تعتبر حلقة من الحلقات المكملة للتنشئة الاجتماعية، لأنها مؤسسة اجتماعية تربوية تعليمية أعدها المجتمع لتزويد النشء بالمعارف والحقائق العلمية والأسس التربوية السليمة والسلوك الاجتماعي المقبول والمهارات التي تسمح له بالتوافق مع بيئته.غير أن الأساليب التربوية والمضامين المتبعة تعرضت إلى جملة من الانتقادات التي تمكن أن نذكر منها ما يلي:(32)

- انتشار استعمال القمع والتسلط والإكراه في التربية الذي يمثل الاتجاه السائد حيث يقوم على مبدأ الالتزام والإكراه والإفراط في استخدام السلطة.

- في كثير من الأحيان يتم اللجوء إلى العنف بأشكاله المختلفة الرمزية والنفسية والمادية من طرف القائمين على تربية الأطفال مما يقتل فيهم روح الإبداع والابتكار.

- المنظومة التربوية من خلال بعض المعلمين تظهر فيها بعض الممارسات التي تقوم بتنمية مشاعر الضعف والنقص والقصور والدونية، مما يؤدي إلى حالة الاغتراب.

وفي هذا السياق يرى فاروق خورشيد أن أطفالنا يعيشون منذ بداية التعليم الأولي في بلادنا ازدواجية لغوية وازدواجية فكرية وازدواجية اجتماعية تؤثر سلبا في البنية العقلية والسلوكية للناشئة (33). فالطفل في حياته اليومية يتكلم لغة غير هذه التي يتعلمها في المدرسة والتباين بينهما كبير بالشكل الذي يصعب معه تقليص الفجوة، وتشكل هذه الازدواجية اللغوية واحد من عناصر عديدة تؤدي بدورها إلى نوع من الازدواجية الفكرية، ومن هذه العوامل هذا التناقض الكبير بين المثال والواقع، بين عالم واقعي تحكمه الانتماءات الدينية والطائفية والمذهبية والإقليمية، وبين عالم مثالي ترتسم فيه القيم القومية والإنسانية ذات الطابع الشمولي.

فالازدواجية الفكرية واللغوية تؤدي إلى ازدواجية سلوكية. وهي المحصلة الحقيقة لكل أنواع المتنافرات والمتناقضات التي يعيشها الإنسان العربي والتي تشكل في نهاية الأمر أزمة هويته ووجوده (34). والنظم التربوية العربية تسعى إلى الضبط الاجتماعي بدلا من تكريس الحرية المترتبة على المعرفة وإلى توليد المسايرة والانصياع لمعايير الجماعة المحافظة على الوضع القائم بدلا من زرع روح التمرد المبدع والبناء (35).

وفي هذا السياق تستوقفنا جملة من التناقضات التي يمكن أن نذكر منها التناقضات الموجودة بين المناهج المدرسية مثال ذلك مقررات كتب القراءة وبعض مضامينها ومقرر التربية الإسلامية وفي بعض الحالات مع الواقع القائم. ومن بين التناقضات الأخرى تلك الموجودة بين المدرسة والأسرة فالكثير من الأفكار المتداولة في المدرسة نجد نقيضها في الأسرة وهذا ما يمثل أزمة القيم والسؤال الآخر المرتبط بأدوات الفعل التربوي هو هل هناك ثقة من طرف الأسرة فيما تطرحه المدرسة من مضامين فكرية ؟ وهل المدرسة لا تزال تكتسي تلك المكانة الرمزية الرفيعة التي كانت تحتلها زمان لدى المجتمع ككل؟ هل المدرس لا يزال يحضى بتلك الدرجة العالية من الاحترام ؟

إن الحديث عن دور التربية بصفة عامة والمؤسسة المدرسية بصفة خاصة في التنشئة الاجتماعية حديثا يستدعي الكثير من العناية والأهمية نظرا للمكانة المفروض أن تحظى بها هذه المؤسسة ومن خلالها العلم بصفة عامة وتقديسه بشكل مستمر غير أن هناك من المجتمعات من تنصب العلم أكبر عدو وبهذه الممارسة فهي مجتمعات غير قابلة للإسهام الجاد في بناء الحضارة القائمة والمشاركة الفاعلة في التحولات الحادثة على أكثر من صعيد، ناهيك عن عدم قدرتها للتصدي للمشكلات الداخلية كالتدهور الاقتصادي،التدني الثقافي، الانحلال الاجتماعي، فمثلا الكثير من الدراسات تشير إلى أن نسب جناح الأحداث تزيد بمقدار سبعة أضعاف بين الأطفال الفاشلين دراسيا مقارنة نسبتها لدى الأطفال الأسوياء من غير الفاشلين (36). فالمدرسة يجب أن تحقق جملة من الأهداف منها غرس الميل إلى الجرأة الأدبية والرغبة في المنافسة البناءة الهادفة لشحن المواهب والقدرات لدى التلاميذ بما يمكنهم من الإبداع والابتكار كلما كان الظرف يشجع على ذلك.

- وسائل الإعلام :

لقد أصبح من المعروف أن وسائل الإعلام بمختلف أنواعها لها دور بالغ الأهمية في التأثير على الشخصية مما يجعلها تنهج سلوكا دون غيره نتيجة التأثر بإحدى أنواع وسائل الإعلام الموظفة في عالمنا اليوم.

إن الحقبة التاريخية التي نحياها اليوم أو الواقع الذي نعيشه أصبح يلقب بدون مبالغة عصر تكنولوجيا الإعلام. فقد عرف هذا الميدان انتشارا فاق كل التصورات بحيث أصبح لا يخلو من بيته إلا ويتمتع على العموم بإحدى هذه الوسائل وقد اكتسبت أهمية بالنسبة للمجتمعات الشيء الذي جعلها تستثمر أموالا ضخمة في تنمية مجال الإعلام بكل أنواعه. فهذه الأهمية ارتبطت بالدور الذي تلعبه هذه الوسائل في تحقيق التقدم والتطور للشعوب ، فقد أصبح من يمتلك قوة إعلامية يمتلك مكانة متقدمة بين الأمم.

نظرا للدور الكبير الذي تلعبه وسائل الإعلام، أصبحت الأنظمة تتسارع في تدعيمها وتطويرها مما يجعلها قادرة على المنافسة وقادرة على رفع صورتها في المحافل الدولية. ويتوقف دور هذه الوسائل على جملة من الشروط منها الكيفية التي تتبعها في تقديم منتوجها، إلى جانب المحتوى أو المضمون المقدم والطريقة المعتمدة وكذلك صاحب المنتوج الإعلامي ، هل يحظى بتقدير وثقة أم عكس ذلك ؟ دون أن أنسى الوقت الذي يختار في تقديم المادة الإعلامية مع مراعاة طبيعة المتلقي سنه وجنسه ومستواه الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. ونظرا لهذا الدور المتعاظم ادرك المسؤولون أهميته في التأثير على الشخصية. ولقد أجريت دراسات عديدة في هذا المجال أثبتت بما لا يرقى له الشك العلاقة القوية بين وسائل الإعلام والسلوك الذي يظهره الشخص في الكثير من الحالات والمواقف. فلا يختلف إثنان في اعتبار أن

للإعلام المعاصر آثارا متعددة على الفرد والمجتمع، لعل من بينها قدرته على إكساب الأفراد جملة من الخبرات التي تختلف في محتواها وطبيعتها من فرد إلى آخر ، فاكتساب الخبرات تمثل خطوة ضرورية لتنمية قدرات الأفراد ومهاراتهم في التفكير البناء والهادف وتتأرجح هذه الآثار على العموم بين السلب والإيجاب، فالتلفزيون مثلا كغيره من وسائل الإعلام يمكن أن يعتبر وسيلة هامة في نشر الثقافة والمعرفة الجادة والأخلاق النبيلة والمحطات الترفيهية دون أن ننسى الدور الذي يمكن أن يلعبه في محو الأمية وزيادة مستوى الوعي العام.

ويمكن أن يكون له انعكاسات سلبية، كنشر تعاطي المخدرات، فقد لعبت وسائل الإعلام دورا هاما في استهلاك المخدرات والمسكرات وممارسة الجنس بين الشباب، فعلى سبيل المثال يذكر التاريخ أن انتشار السجائر يصاحب دائما عرض معلومات معينة عنه، أو تدخين شخصيات عامة لدورهم في النسق الاجتماعي كقدوة تحتذى. ففي القرن السابع عشر الميلادي زادت معدلات التدخين في أوروبا الغربية نتيجة حماس الأباطرة مثل بتر الأكبر- نابليون الثالث- كاترين الكبرى والفلاسفة مثل بيكون، فولتر والساسة مثل بيسمارك، للتبغ ودعوتهم المواطنين من خلال الممارسة أو الكتابة كما ورد في كتاب بيكون إلى تدخينه (37). كما شهد الربع الثالث من القرن العشرين، زيادة خطيرة في معدلات التدخين في كل أنحاء العالم ومهدت لهذه الزيادة أفلام السينما والتلفزيون من خلال ربط تدخين السجائر بالمتعة والإثارة والقوة والنضج وحب المغامرة واقترانه في الإعلانات المصورة بالسباقات الرياضية وغيرها من النشاطات المغرية، ونفس الآمر ينطبق على انتشار تعاطي الحشيش، فعلى سبيل المثال استخدام رهبان الهند الحشيش في الاحتفالات الدينية أدى إلى انتشاره بين المواطنين، كما أدى شيوع كتابات معينة مثل كتاب بودلير جنة الأحلام في الثقافة الأوروبية الغربية إلى انتشاره بين الأوروبيين كذلك أدى اتخاذه شعارا من قبل المنتمين لحركة الهيبيز في أمريكا إلى انتشاره بين الشباب الأمريكي.

وقد انتشرت هذه الظاهرة في الجزائر لجملة من الأسباب منها انتشار أشرطة الفيديو والتي تشجع على مثل هذه السلوكات وبعض القنوات الفضائية وبعض الكتب التي لا تثمن الفعل الأخلاقي.

وفي الأخير يمكن تلخيص أثر وسائل الإعلام في عملية التنشئة الاجتماعية في النواحي التالية:

- نشر معلومات متنوعة في كافة المجالات تناسب كل الأعمار.

- إشباع الحاجات النفسية مثل الحاجة إلى المعلومات والتسلية والترقية والأخبار والمعارف والثقافة العامة ودعم الاتجاهات النفسية وتعزيز القيم والمعتقدات أو تعديلها والتوافق مع المواقف الجديدة. وقد يكون ما يعرض يتنافى مع الأخلاق العامة مما يؤدي إلى حصول انحرافات يصعب في كثير من الأحيان علاجها. وعلى هذا يجب توخي الحذر الشديد في التعامل مع هذه الوسائل فليست كلها صالحة ، فالبعض منها همه الأساسي تحقيق الربح حتى و لو كان علي حساب المجتمع بكامله و ليس فردا أو جماعة فقط.

- الجماعة:

تشترك الكثير من الدراسات في مجال علم النفس الاجتماعي على اعتبار الجماعة عنصرا هاما في تحقيق التماسك والانسجام داخل المجتمع باعتبارها خلية أساسية بالنظر إلى جملة الأدوار المطالبة القيام بها سواء على المستوى الفردي، أي بمعنى مساعدة الفرد على تحقيق التأهيل الاجتماعي وتوفير له الظروف التي تمكنه من تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي أو المستوى الجماعي بحيث تحافظ – الجماعة -على استمرارية المجتمع بشكل فعال وتضمن له الكثير من أدوات البقاء والقدرة على التكيف مع التحولات المختلفة التي يعرفها العالم. فالجماعة بحكم مكانتها في الهرم الاجتماعي تزود الفرد بالكثير من الأنماط الفكرية والمضامين المعرفية المختلفة والضرورية التي تتخذ من الأعراف والمعايير والقيم والتقاليد عمادها بما يمكنه من الانسجام بشكل طبيعي مع أفراد مجتمعه نتيجة اكتسابه الأبعاد النفسية والانفعالية والاجتماعية العلائقية والأخلاقية.إلا أن الجماعة قد تقوم بأدوار سلبية بحيث بدلا من أن تكون فضاءا سليما يستلهم منه الفرد جملة من القيم النبيلة تزوده بدل ذلك ، أنماطا سلوكية انحرافية خطيرة على نفسه وعلي المجتمع ككل . بحيث تهدد تماسكه وأمن الأفراد والمؤسسات نتيجة الممارسات التي لا تحترم العرف العام السائد . إن الشخص داخل النحن يشعر ويفكر ويعمل لا باعتباره - أنا - في مقابل أنواه أخرى بل كعضو في جماعة، فنجد أن عمله وفكره بل وإدراكه يتشكل طبقا لعضويته في الجماعة(38). طبعا أن الجماعة هي في الحقيقة مجموعة من الأفراد، أي إذا أحسن تكوين وتنشئة الفرد كانت الجماعة مستقيمة ، إلا أنه يجب الإشارة أن الجماعة في كل الحالات أقوى من الفرد ، فهذا الأخير نجده يقوم بسلوكات داخل الجماعة ما كان له أن يقوم بها لو كان بمفرده وفي الاتجاهين السلبي والإيجابي، لذا فالاعتناء بالجماعة وتوفير لها أدوات و عناصر النمو السليم تمثل ضرورة ملحة تقع على مجمل المؤسسات الرسمية و غيرها حتى يمكن تحقيق قوة دفع للمجتمع ككل وحتى يستطيع القيام بالتحديات المفروضة و ما أكثرها في عالمنا اليوم. إن سيطرة وتكثيف الأنشطة الجماعية الهادفة يمثل إحدى الشروط التي يمكن لها خلق قيم سليمة داخل الجماعة وتعزز من مشاركتها وتوفر لها حظوظ القوة والتماسك والانسجام، شريطة أن تكون هذه الأنشطة بعيدة عن التخطيط الفوقي والنظرة الأبوية، بل نابعة من الجماعة في حد ذاتها، بحيث تكون لها الحرية في تسطير ما تراه مناسبا، بعيدا عن الوصاية و عن التسلط الذي كاد أن يلغي الفرد و المجتمع على حد السواء.

خاتمة

في الأخير نشير أن عملية التنشئة الاجتماعية من العمليات الحساسة التي يجب أن تحضي بالاهتمام الكبير، لأن الدراسات العلمية تشير إلى أن تحقق المدنية والتحضر والمشاركة بفعالية في المحافل الدولية وإثبات المكانة بين الأمم لا يتحقق بالشعارات والكلام الأجوف بل بالتربية المتسمة بالفعالية والانسجام البعيدة عن أنواع الإكراه - للأسف ما أكثرها في مجتمعنا اليوم -، وبالتربية التي تتخذ من الفرد المحور الأساسي في عملية التخطيط آخذة مجمل رغباته وكفاءاته و قدراته كما هي قائمة، وليس كما

يراها المسؤولون الظرفيون. فبدون توفير تنشئة اجتماعية سليمة تراعي الأبعاد المحلية متطلعة على القيم الإنسانية ومتفتحة على ما يحدث من تحولات في المجتمعات الأخرى لا يمكن توفر الفرد القادر على تحويل ما يحيط به من صعاب إلى أدوات تسهم في توفير الرفاهية للمجتمع. فليس من نصائح قولية تعطي في هذا السياق بقدر ما يجب الاعتماد الكلي على المعطيات ونتائج البحوث العلمية والابتعاد عن الفوضى والعشوائية والارتجال، الشيء الذي يمكن من الانخراط في المدنية والبناء الهادف والفعال، بحيث يصبح الفرد وبالتالي المجتمع يحسب له ألف حساب في كل الأحداث التي تعرفها الإنسانية وليس رقما فاقدا للدلالة أو كلمة في جملة غير مفيدة. فالكبير القادر علي التسيير المبدع، والقادر على ممارسة مفهوم المواطنة و قبول الرأي المخالف والتعايش معه بعيدا عن كل أنواع التعصب والتشنج غير المجدي بل المؤدي للكوارث البالغة الخطورة، يحضر منذ المرحلة الجنينية، كما تشير الأبحاث والدراسات بحيث أكدت على هذه المرحلة و المراحل التي تليها في التعامل مع الفرد حتى يكون سليما، قويا، متحديا لا يعرف شيئا أسمه الكسل والتواكل والتخاذل. لقد أثبت التاريخ أن الفرد الذي لم تتم تنشئته تنشئة سليمة قد تصل سلوكاته إلى حد الانبطاح واللامبالاة والسلبية. فعلى المؤسسات المسؤولة على هذه العملية بدءا بالأسرة مرورا بالمدرسة والجامعة وغيرها أن تستفيق وتشعر بخطورة دورها وإلا سيحكم على المجتمع بالفناء المعرفي والعلمي قبل الفناء المادي .

المـراجع

1- جابر ناصرالدين (1999) علاقة أسلوب التقبل /الرفض االوالدي بتكيف الأبناء .أطروحة دكتوراه دولة غير منشورة .جامعة قسنطينة ص .82

2- محمد عاطف غيث.(1989) المشاكل الاجتماعية و السلوك الانحرافي .دار المعرفة الإسكندرية.ص.66

3- محي الدين مختار.(1998).التنشئة الاجتماعية المفهوم و الأهداف.مجلة العلوم الإنسانية جامعة قسنطينة.ص .25

4 - علي وطفة .(1993) علم الاجتماع التربوي. مطبعة الاتحاد، دمشق.ص 37

5 - قي أفنزيني.(1981). الجمود و التجديد في التربية المدرسية. ترجمة عبد الله عبد الدائم. دار العلم للملايين بيروت .ص .330

6 - ريناتا قوروفا. (1984). مقدمة في علم الاجتماع التربوي . ترجمة نزار عيون السود .دار دمشق للنشر.ص 105 .

7- علي وطفة .(1998). المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية. مجلة عالم الفكر، المجلد السابع و العشرين الكويت. ص 250 .

8- Guy Rocher. Introduction a la sociologie generale. M.H. Paris. P .32

9 - حامد عبد السلام زهران .(1974). علم النفس الاجتماعي . علم الكتب ، القاهرة.ص 213 .
10- محمد مصطفي زيدان. (1965). السلوك الاجتماعي للفرد .مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.ص ص 103-.104
11- فؤاد البهي السيد. (1980). علم النفس الاجتماعي. دار الكتاب الحديث، الكويت. ص .155
12- محي الدين مختار.(1982). محاضرات في علم النفس الاجتماعي. دمج الجزائر.ص 128-.129
13- محمد أحمد النبلسي. (1991). الاتصال الإنساني و علم النفس.دار النهضة العربية، بيروت.ص.65
14-جابر ناصر الدين.(1998). مرجع سابق.ص .96
15-عباس محمود عوض.(1980).علم النفس الاجتماعي.دار النهضة العربية، بيروت.ص 45 .
16- مصطفي عشوي.(1994). مدخل الي علم النفس العام .دمج الجزائر. ص .67
17-جابر ناصر.مرجع سابق.ص .97
18- نفس المرجع السابق. ص 99 .
19-جابر ناصر الدين. (1998). التوازن الهرموني النفسي.مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة.ص.193
20- مصطفي سويف.(1981). الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي. دار المعارف القاهرة. ص 73 .
21- الحسانين إسماعيل الطمان.(1989). دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية للطفل. في المؤتمر السنوي الثاني للطفل المصري. مركز دراسات الطفولة. جامعة عين الشمس، القاهرة.ص 10 .
22-خالد الطحان. (1978). دراسة بعض العوامل التي تسهم في التحصيل الدراسي و دور الأسرة فيها. مجلة المعلم العربي .العدد 31. ص 6 .
23- عبد الرحيم صالح عبد الله .(1979). الأسرة و تعاونها مع الأسرة المدرسية في تربية الأطفال.كلية الآداب جامعة الكويت .ص 9 .
24-علي وطفة. علم الاجتماع التربوي. ص 79 .
25-جان كلود فيلو .(1996). اللاشعور بحث في أعماق النفس الإنسانية. ترجمة علي وطفة.دار معهد دمشق.ص 75 .
26- إلهام مصطفي عبيد. (1989). من أجل أن تكون الأسرة بيئة تربوية لطفل ما قبل المدرسة. في الملتقي الثاني للطفل المصري.ص ص 45-.46
27- المرجع السابق . ص ص 52، 54 .
28-علي وطفة.(1998). المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية.مرجع سابق. ص ص 261-262.

Jean Claude Filloux. (1986). La Personnalité. Q.S.J. N° 756.P -29 39.
30-علي وطفة.(1998). مظاهر الشخصية الاغترابية في الشخصية العربية. مرجع سابق. ص 265 .
31- سعيد إسماعيل علي.(1995). فلسفات تربوية معاصرة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ص ص 203-.204
32-علي وطفة.(1998). المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية.مرجع سابق. ص 263 .
33- فاروق خورشيد.(1981). هموم كاتب العصر. دار الشروق بيروت .ص 64 .
34-عبد المعطي سويد (1992). التناقض الوجداني في الشخصية العربية.دار الحوار اللاذقية. ص 43.
35-خلدون حسن النقيب.(1993). المشكل التربوي والثورة الصامتة . دراسة في سوسيولوجيا الثقافة.في المستقبل العربي .عدد 194.ص ص 67 70 .
36-عدنان الدوري.(1985). جنوح الأحداث المشكلة و السبب. منشورات ذات الأصل بيروت.ص 259
37- عبد المنعم شحاتة.(1992). التدخين بوابة المخدرات. مكتبة الزهران ، القاهرة.ص 52 .
38-جابر ناصر الدين.علاقة أسلوب التقبل/الرفض الوالدي بتكيف الأبناء .مرجع سابق.ص 91.